قدم الـمنطق العلوي

بقلم الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو

لا يستطيعُ السَّالكُ أن يتوقَّفَ عن التَّفكُّرِ بقضايا تتعلَّقُ ببَدءِ التَّكوينِ والغايةِ من الوجودِ ومبدأ هـذا الوجودِ، ومسـائـلِ القِدَمِ والحُدُوثِ والوَحدَةِ والكَثرَةِ، والْمُتناهي واللاَّمُتناهي والعِلَّةِ والْمَعلولِ والواجبِ والْمُمكنِ، وغيرِها من الأمورِ الْمُشتَكِلَةِ على الكثيرين، والتي شَغَلَتِ الفكرَ البشريَّ منذُ عصرِ هُرمُسِ الهَرَامِسَةِ وهو النَّبيُّ الأعظمُ إدريسُ (ع)، وقد ظَهَرَ في مصـرَ قبلَ الطُّوفان، واسمُهُ "أخنوخ" عند العبريِّين، و"أرميس" عند اليونانيِّين، وهو الذي أعطاهُ الرَّبُّ النِّعَمَ الثـلاثةَ (الْمُلك والحِكمَة والنُّبوَّة).

إنَّ هُرمُسَ الهَرَامِسَةِ (ع) نظَّمَ أوَّلَ مَعَالِمَ الفلسفةِ، والتي كانت تسمَّى في عهدِهِ (عِلَلَ الأشياءِ)، وهو أوَّلُ مَن اسـتخرَجَ الحكمةَ وعلمَ النُّجومِ بالوَحي الإلهيِّ، وهو الذي بَنَى الأهرامَ، وقد تخرَّجَ من مدرسَـتِهِ الفلسـفيَّةِ مجموعةٌ من الفلاسـفةِ يُدعَونَ بالهَرَامِسَـةِ، وكانوا يَعترفونَ بوجودِ عالَمِ ما وَرَاءَ الطَّبيعةِ.

هذا التَّفكُّرُ لدَى السَّـالكِ هو أمرٌ فطرَهُ الرَّبُّ عليهِ منذُ القِدَمِ حتَّى باتَتْ صـيغةُ التَّسـاؤلاتِ تتعلَّقُ بالفلسفةِ، والإجاباتُ تتعلَّقُ بالْمَنطِقِ، فالفلسفةُ تَجعلُ الوجودَ بأجمَعِهِ مَيدانًا لِتَفَكُّرِ السَّالكينَ، وتَحمِلُهُم إلى عَوَالِمَ شـتَّى، وتُحَلِّقُ بهم في خفايا هذا الوجودِ، ولا يَرجعونَ بجوابٍ إلاَّ إذا كان مَبْنِيًّا على أُسُسِ الْمَنطقِ العَلَويِّ.

فـالفلسـفـةُ والْمَنطقُ العلويُّ تَوأمـانِ منذُ القِدَمِ، لأنَّ الْمَنطقَ العلويَّ هو الوحيدُ القادرُ على الإجابةِ على ما تَرَكَتْهُ الفلسفةُ من تساؤلاتٍ عميقةٍ وأفكارٍ جليلةٍ بدأتْ قبلَ آلافِ السِّنين.

وقد اسـتطاعَ الْمَنطقُ العلويُّ أن يُعيدَ صـياغةَ الفلسـفةِ الأولى والحكمةِ الإلهيَّةِ بصـورةٍ رائعةٍ، تلكَ الحكمةُ التي وَصَفَها سيدنا المسيح (ع) بقوله: (إنَّ الحكمةَ نورُ كلِّ قلبٍ).

واسـتطاعَ الْمَنطقُ العلويُّ إعادةَ تقديمِ ما وَصَـلَ إلينا من فلاسـفةِ اليونانِ القدماءِ، ولا سـيَّما السَّـادَة أرسطو وأفلاطون وسقراط، واستطاعَ أيضًا تفسيرَ مَقَالاتِهِم، وقامَ بتَبسِيطِها للسَّالكينَ لِيُدرِكُوها بقوَّةِ عِرفانِهم، ثمَّ شَـيَّدَ أُسُـسًـا جديدةً على قواعدَ وأصـولٍ مُحكَمَةٍ لا يَتَطَرَّقُ إليها الخَلَلُ، وأخرجَ

مسـائلَ الفلسـفةِ بصـيَغٍ تَعتَمِدُ على البرهانِ والاسـتدلالِ اعتمادًا على مقولةِ أفلاطونَ الحكيم: (الرَّأيُ الصَّحيحُ يؤيِّدهُ التَّعليلُ)، بحيثُ يَسـتَنبطُ السَّالكُ ويَستَخرِجُ الجواهرَ من قاعِ بحرِ الأسئلةِ الْمُتلاطِمِ، وبهذا أخرجَ الْمنطِقُ العلويُّ التَّفسيراتِ الفَلسفيَّةَ من التَّبَعثُرِ والتَّشتُّتِ إلى التَّناسُقِ والوُضوحِ.

ومنذُ عصـرِ فلاسـفةِ اليونانِ الأقدمينَ اشـتدَّ الصِّراعُ بين الفلسـفةِ والسَّفسَطَةِ، وضاعَتْ مَعَالِمُ الفلسـفةِ بسـببِ انتشـارِ السَّفسـطائيِّينَ وتَحريفاتِهم وتَخليطاتِهم، خاصَّـة بينَ الفيثاغوريِّينَ العظماءِ القائلينَ: (إنَّ أصلَ العالَمِ هو العَدَدُ)، والسَّفسطائيِّينَ الْمُنكرينَ لوجودِ العالَمِ الْمَاوَرَائيِّ، لأنَّهُم يَزعمونَ وجودَ الْمَادَّةِ أو الأصلِ الأوليِّ في الطَّبيعةِ.

وقد جاءَ الْمَنطقُ العلويُّ لِيُرسِـيَ أُسُـسَ الْمَنطقِ الأَرِسْـطِيِّ الذي يُعتَبَرُ جوهرَ الفلسـفَةِ الحَقَّةِ، ووضعَ نهايةً حاسمةً لهذا التَّضليلِ والتَّزييفِ السَّفسطائيِّ الذي نالَ من الفلسفةِ اليونانيَّةِ، وذلكَ على يَدِ مؤسِّسِهِ الإمام علي (م).

الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو